المحاضرة الخامسة: تخصصات علم الآثار

(علم الآثار المصري)

علم الآثار المصري أو المصريات هو دراسة آثار منطقة من السهل تحديدها جغرافيا؛ فهي تمتد من البحر المتوسط شمالا إلى بلاد النوبة جنوبا والصحراء الليبية غربا لتتجاوز قليلا البحر الأحمر شرقا؛ فهو يدرس حضارة أصيلة لها شخصيتها الخاصة وإنتاجها المتميز أما إطارها الزماني فيمتد من عصور ما قبل التاريخ إلى نهاية العصر الروماني، وتقسم تاريخيا إلى:

.العصر الباليوليتي حتى 10000 سنة قبل الميلاد.

.العصر النيوليتي (ظهور السيراميك، الفخار) من 10000 سنة قبل الميلاد إلى6000 أو 5000 سنة قبل الميلاد.

.العصر النحاسي من 6000 أو 5000 سنة قبل الميلاد إلى 3000 سنة قبل الميلاد.

.العصر الفرعوني الخالص حتى سنة 332 قبل الميلاد.

.العصر اليوناني البطلمي حتى سنة 31 قبل الميلاد.

.العصر الروماني حتى 642 ميلادية.

يمكن القول أن علم الآثار المصري تأسس مع وصول نابليون بونابارت إلى مصر في 21 جويلية 1798م حيث أقيم المعهد الفرنسي المصري في القاهرة الذي استمر عمله ثلاثة سنوات، وارتبطت بهذه الحملة أعمالا كثيرة منها وضع مؤلف من أربعة وعشرون مجلدا صدرت خلال الفترة 1809–1813م بعنوان "وصف مصر *Description de LEgypte*"، لصاحبه جومار ويعتبر بداية الدراسات الجادة للآثار المصرية.

عند إكتشاف حجر رشيد تمكن أحد جنرالات نابليون بونابرت من إعداد ترجمة للجزء المكتوب بالإغريقية في أسفل النقش وحسبه أن النقش على الحجر كان عام 196 قبل الميلاد من طرف كهنة ممفيس؛ ومضمونه عبارة عن مدح للملك البطلمي أبيفانس لإحسانه الجم ويهدي له التشريف الإلهي، والجزء الأعلى مكتوب بالهيروغليفي وهي اللغة الدينية المقدسة، والجزء الأوسط من الحجر مكتوب بالديموطيقي اللغة العامية للمصريين القدامى وهو نوع من الخطوط تطور عن الهيراطيقي وهي كتابة مختزلة لأحد أشكال الكتابة المصرية القديمة، ثبت فيما بعد أن النقش يحتوي ثلاثة لغات، وبالإمكان قراءة الخطين الديموطيقي والهيروغليفي بالإستعانة بالخط الإغريقي، ليجند الباحثون في بريطانيا، فرنسا، المانيا وإيطاليا لفك رموز هذا النقش مستعينين بنقوش أخرى كالتي وجدت على مسلة عثر عنها عام 1822م بجزيرة فيلة (جزيرة صغيرة قرب أسوان) حيث تم فك رموز بعض الأعلام لتكون

المحاولة الجادة من طرف الطبيب توماس ينج الذي تمكن من قراءة النقش الديموطيقي ونشر نتائجه في معجم المفردات الديموطقية وفي مقال له بدائرة المعارف البريطانية، ليبدا الإهتمام أكثر بالآثار المصرية بعد تاريخ 14 جويلية 1822م وهو تاريخ تمكن العالم الفرنسي فرانسوا شمبليون (1790م–1832م) من فك رموز اللغة المصرية القديمة بترجمة حجر رشيد، وفي عام 1824م وضع مؤلفه بعنوان " مختصر نظام الكتابة الهيروغليفية " أوضح فيه أن الهيروغليفية خليط من رموز المعاني ورموز الأصوات، وقاد بعثة أثرية إلى مصر عام 1827م وهو أمينا عأما لمتحف اللوفر بباريس، وبعد وفاته نشر له كتاب قواعد اللغة المصرية القديمة (*Grammaire Egyptienne*) والقاموس المصري (*Dictionnaire Egyptienne*).

أن مصر عرفت نشاط الكثير من المغامرين الذين قاموا بحفريات هي في الحقيقة نهبا للقبور؛ أهمها ماقام به جيوفاني باتستا بلزوني الذي بدأ حفرياته عام 1817م حيث تمكن من الدخول الى العديد من قبور الفراعنة في طيبة، ونقل كمية معتبرة من الآثار إلى المتحف البريطاني(كان عمله بالتنسيق مع القنصل العام البريطاني)، وفي عام 1821م عرض الآثار التي بحوزته في القاعة الملكية ببيكادلي (قاعة أنشئت عام 1812م ذات واجهة على الطراز المصري)، لقي العرض إقبالا كبيرا فاق 1900 شخص، وقد إستعان قبل الإفتتاح بالأطباء لإزالة الغطاء عن مومياء، وفي عام 1823م وضع سجلا لرحلاته سماه " قصة العمليات والإكتشافات الأخيرة في الأهرامات والمعابد والمقابر والحفريات في مصر والنوبة "، وفي منتصف القرن 19م أصبحت معظم الآثار المصرية البارزة للعيان قد أكتشفت ووصفت وصدرت الكثير من الكتب حولها أنطلاقا من كتاب " وصف مصر " إلى كتاب " مصر القديمة تحت الفراعنة " لجون كنريك عام 1850م وكتاب " عادات وتقاليد المصريين القدماء " لــ: جون قاردنر ويلكنسون.

في عام 1840م قام أحد العلماء وهو رتشارد لبسيوس بإجراء مسح بمنطقة النوبة إمتد جنوبا حتى الخرطوم وكذلك في ممفيس وأماكن أخرى حيث عثر على نقشا بمنطقة كانوب شبيها بحجر رشيد عرف بمرسوم كانوب (إسم الميناء الرئيسي بمصر في تجارتها مع الإغريق قبل ميناء الإسكندرية)؛ وهي منطقة شهدت تجمعا للكهنة عام 237 ق.م أو 239 ق.م أين أصدر هذا المرسوم الذي لقب بطليموس الثالث بالمانح؛ كتب بالهيروغليفية والديموطيقية والإغريقية وأستعمل في فك الرموز الهيروغليفية والديموطيقية، إضافة إلى بعض النقوش المصرية القديمة التي عثر عنها في مناجم النحاس بسيناء، وفي عام 1849م يصل الفرنسي أوغست ماريت إلى مصر في مهمة لمتحف اللوفر لجمع المخطوطات القبطية إلا أنه أعجب بالآثار الشاخصة فبدأ بإجراء حفريات ولم يرجع إلى فرنسا ليعين عام 1858م من قبل الخديوي سعيد باشا محافظا على الآثار المصرية ومن ثمة مسؤولا عن "هيئة الآثار المصرية" الحديثة النشأة؛ ومن الأعمال التي قام بها:

.حفر ما يزيد عن ثلاثون موقعا منها: سيرابيوم، ممفيس، معبد أوزير أبيس، مقبرة الثيرأن المقدسة الملحقة به، معبد أبو الهول بالجيزة، مدافن ستقارة، معابد إيبدوس، مدينة هابو، الدير البحري، أدفو،...، ورغم أنه لم ينقب بطريقة منهجية ، إلا أنه أوقف التكالب على الآثار المصرية حيث كان مصرا على أنه الوحيد صاحب الإمتياز المصرح له بالتنقيب مما مكنه من تخليص مصر من ناهبي القبور وجامعي التحف والجواسيس المتنكرين في زي علماء آثار، كما أدخل أسلوبا جديدا في العمل الآثاري الميداني من خلال دعوته أن تبقى مخلفات مصر القديمة في

مكانها في مصر الحديثة وكذلك بالنسبة للآثار المنقولة، جمع ماريت مجموعته المتحفية في مسجد مهجور وبعض السقائف ومنزلا كان يعيش فيه وهي التي حولها إلى أول متحف مصري، وفي عام 1859م وجد عمال ماريت بالقرب من طيبة تابوتا يخص الملكة أعخ حوتب مملوءا بالمجوهرات الثمينة قدمه إلى الخديوي الذي أخذ منه سلسالا ذهبيا وجعرانا وأمر بوضع الباقي بمتحف يشيد لهذا الغرض بالبولاق، لينقل عام 1889م إلى قصر مهجور بالجيزة وفي عام 1902م نقل إلى مكانه الحالي بقصر النيل بالقاهرة.

من أهم الإكتشافات الأثرية في مصر خلال القرن العشرين كانت عام 1922م من طرف إيرل كارنرفون وهوارد كارتر مقبرة توت غنخ أمون الذي حكم ما بين 1334–1325 ق.م بوادي الملوك بالبر الغربي بالأقصر؛ وهي المقبرة الوحيدة التي عثر عنها سليمة وهو إكتشاف أبهر العالم في وقته.

علم آثار بلاد الرافدين

يهتم بدراسة المنطقة الممتدة من وادي الأندس(نهر السند) شرقا إلى بحر إيجه غربا ومن بحر أورال شمالا إلى صحراء سيناء جنوبا، أما الإطار الزماني يحدد من عصور ما قبل التاريخ إلى ما يسمى بزمن الشعوب حسب التقسيمات التاريخية الكبرى التي إقترحها الباحث الألمأني ف. أندريا؛ وهي:

1 ــ عصر ما قبل السلالات الباكرة ما بين (5000 ــ 3500 سنة ق.م).

2 ــ عصر الأوروك تميز بإزدهار العمارة في عهد الأمراء (3500 ــ 3100 ق.م).

3 ــ عصر الفن في عهد الأمراء ما بين (3100 ــ 1700 ق.م)؛ وضمنه نجد عصر غوديا ولاجاش بعد 2300 ق.م وعصر السلالة الأولى في بابل حمورابي (2000 ــ 1700 ق.م).

4 ــ زمن الشعوب حوالي (1900ق.م إلى 300ق.م)؛ من هذه الشعوب: القاسيون أو الكاشيون، الأوريون، الحثييون، الفرس، إغريق الإسكندر، السلوفيون، البارتيون.

يلاحظ هنا إغفال هذا التقسيم للفينيقيين والعبرانيين رغم أن المساحة المكانية تشملهما.

بالنسبة لتاريخ بداية العمل الأثري ببلاد الرافدين يمكن القول أنه كان خلال القرن السابع عشر ميلادي على أثر عودة النبيل الإيطالي بيترو ديلافال عام 1625م؛ الذي كان في رحلة إلى بلاد العراق القديم وأحضر منها أحجارا منقوشة برموز غير معروفة، كذلك البعثة العلمية التي أرسلها ملك الدانمارك إلى الشرق لجمع كل ما يمكن من معلومات في كافة فروع المعرفة؛ حيث تمكن رئيسها كارستن نيبور من نسخ نقوش من (برسبوليس) آثارت إهتمام علماء اللغات الذين بدأوا في محاولة تفسيرها.

وبدأت الأعمال الميدانية مع عالم اللغات كلوديس جيمس رتش (1786–1821م) الذي عين ممثلا لبريطانيا بالمناطق العربية الخاضعة لتركيا فأتخذ من بغداد مقرا له عام1808م؛ كان يمضي أوقات فراغه في زيارة المواقع القديمة ويجمع التحف والمخطوطات كما زار بابل عام 1811م وأجرى مسحا مكثفا وإختبارا للموقع ، نشر عام 1812م مذكرات عن خرائب بابل وفي عام 1818م نشر مذكرات ثانية عن خرائب بابل.

أعجب القنصل الفرنسي في الموصل عام 1842م بول إميل بوتا بما قام به رتش لذلك قام بحفريات في نينوى عام 1842م وفي خورسباد عام 1843م أين عثر على قصر آشوري كبير يحتوي حجارة منحوتة ونقوشا مسمارية مما آثار إهتمام الحكومة الفرنسية التي بدأت في تدعيم الحفريات وأرسلت الفنان مي فلاندان لتسجيل المعثورات والمنحوتات لتنشر هذه الأعمال في خمس مجلدات بباريس عامي 1849 و 1850م بعنوان "آثار نينوى" (*Monument De Nineveh*)، كما أرسلت الكثير من القطع المنحوتة التي وجدت بخورسباد إلى باريس وهي موجودة بمتحف اللوفر بباريس.

في نفس الوقت كان أوستن هنري ليارد البريطاني(1817–1894م) يقوم بحفريات في نمرود قرب الموصل وموقع كيونجيك وآشور أين تم العثور على الكثير كقصور الملوك الأشورين وآثار منقولة ثمينة كالثيران المجنحة والمسلة السوداء الخاصة بشلمنصر الثالث وتماثيل لآشور ناصر بال الموجودة حاليا بالمتحف البريطاني، لينشر ليارد أعماله في مجلد بعنوان "آثار نينوى" (*The Monuments Of Nineveh*) عام 1849م وكتاب أخر بعنوان "نينوى ومخلفاتها" (*Nineveh and Itsremains*) بين 1848–1849م مع كتب أخرى لقيت شهرة عالمية مثل سلسلة كتاب "تقرير مبسط في إكتشافات نينوى" مابين (1849–1850م)، عاد ليارد ثانية إلى بلاد الرافدين بتمويل من المتحف البريطاني وقام بحفريات في الموقع الحقيقي لنينوى وفي نمرود وآشور وبابل، واكتشف قصر سنحاريب في كيونجيك الذي حوى مكتبة ضخمة من الألواح المسمارية لينشر عام 1853م كتاب "المجموعة الثانية من آثار نينوى".

وقع صراع كبير بين الفرنسيين والبريطانيين حول التنقيب في بلاد الرافدين ليتم تقسيم تل كيونجيك بين الطرفين الشمالي للفرنسيين والجنوبي للبريطانين ، وقد تمكن هرمز راسام البريطاني الذي خلف ليارد عام 1851م من إكتشاف مكتبة آشور بانيبال وقصره وقاعة صيد الأسود المشهورة في القطاع الفرنسي (كان ينقب ليلا وخفية في هذا المكان) ولما خلف وليام كنيت لفتس راسم إكتشف في الوركاء موقع أرخ (أرش) مدينة جلجامش حيث عثر على فسيفساء ملونة وأشكال مخروطة من الطين المحروق والواح مسمارية.

خلال الفترة ما بين 1854–1855م إكتشف البريطاني ج.تايلر بتل مخير زقورات أور مدينة الكلدانيين في هذه الفترة حاول العالم الماني ج.ف غروتفند دراسة النسخ التي أعدها نيبور لنقش بيرسيبوليس وأعد نسخا لكثير من النقوش المسمارية التي وجدها هناك وتعود الى عام 516 ق.م دون أن يعرف أنها تمثل ثلاثة أنواع من الخطوط؛ وبعد فك رموزها تبين أنها مكتوبة باللغات الفاريسية القديمة والعيلامية والبابلية، ولأن اللغة الفارسية هي اللغة الأسهل فقد تمكن من فك ثلاثة من الأسماء الملكية المكتوبة بها وثلث الرموز المستخدمة، بعد هذا يأتي هنري كيرسويك رونلسون (1810–1895م) الذي يعتبر أول من فك رموز الخط المسماري بدأ في دراسة نقش من النقوش المكتوبة باللغات الثلاثة وجد بالقرب من همدان، وبعدها على النقش المشهور على جبل بهستان أوبستين بالقرب من كرم نشاه بإيران؛ منقوش باللغات الثلاثة عام 516 ق.م بتوجيه من داريوس هستاسبس (521–485 ق.م)، حيث بدأ رونلسون بنسخ النقوش الفارسية القديمة والعيلامية عام 1835م وعاد إليها عام 1844–1848م حيث تمكن من تسجيل النقش البابلي.

في عام 1837م ترجم رونلسون فقرتين من النقش الفارسي القديم المكتوب بالخط المسماري ليصدر عام 1846م مجلدين بعنوان "نقوش بهستان المسمارية الفارسية"، وفي العام نفسه أصدر الدكتور إدوارد هنكس ترجمة للنقش، ليبدأ فيما بعد كل من رونلسون، وهنكس، وأوبيرت، وفوكس تابلوت، وآخرون بدراسة النقش البابلي الذي ترجم في فترة وجيزة ليتم التعرف على اللغتين البابلية والآشورية، وبعدها تم تحديد هوية التلال الواقعة عبر النهر من الموصل بأنها مدينة نينوى، وبان سنكارا هي مدينة لارسا القديمة، وأن تل مخير هو مدينة أور الكلدانية، وأن تل أوشهرين هو مدينة أريدو القديمة.